مصالح أم تصادم حضارات

للدكتور/ رأفت غنيمى الشيخ(*)

تمهيد:

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ صدق الله العظيم.

وقال ـ عزّ من قال ـ : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة.. ﴾ صدق الله العظيم.

وهناك مقولة منطقية نصها: «ليست هناك صداقة دائمة أو عداوة دائمة، وإنما هناك مصالح دائمة».

ومن هنا يأتى الحديث الدائم والمتكرر بأن العالم فى شرقه وغربه يتم تبادل المصالح بين دوله، ولا يمكن لدولة العيش فى معزل عن بقية دول العالم، فالدولة كبرت أم صغرت تحتاج لغيرها من الدول فى تبادل المصالح حتى وإن اختلفت مع هذا الغير فى العقيدة الدينية أو الفكر الثقافى أو الرؤية السياسية.

وكانت مصر وما زالت - خلال النصف الثانى من القرن العشرين- تتبادل المصالح مع كل دول العالم دون استثناء مهما اختلفت معها فى النواحى الدينية والثقافية والسياسية..

لقد تعاملت مصر مع دول المعسكر الغربى بزعامة الولايات المتحدة فى النواحى الاقتصادية والتعليمية، وإن اختلفت مع دول المعسكر دينًا وثقافة وسياسة، بل كانت تحارب القواعد العسكرية الغربية، وتهاجم دول هذا المعسكر المؤيدة للصهيونية العالمية.

(*) أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر- جامعة الزقازيق ، المشرف على فرع أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا بالزقازيق.

وتعاملت مصر مع دول المعسكر الشرقى بزعامة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية فى الجوانب الاقتصادية والتعليمية، رغم أن مصر لا تعترف بالفكر الماركسى بل تحاربه سواء داخل مصر أو فى الدول العربية الشقيقة.

وهكذا تتغلب المصالح المشتركة بين الدول الإسلامية والدول الأجنبية، وخاصة فى المجالات الاقتصادية والثقافية وإلى حد ما فى المجال السياسى، وفى السنوات الأخيرة من القرن العشرين وأوائل القرن الواحد والعشرين الميلادى ونتيجة لظهور ما عرف بالنظام العالمى الجديد الذى تربع على قمته الولايات المتحدة الأمريكية، وتفكك الاتحاد السوفيتى، بدأنا نسمع فى دول الغرب عن ربط الإرهاب بالإسلام والمسلمين وأن العدو الآن للدول الغربية هو الإسلام بل ونقرأ كتابات عن صدام الحضارات، ونهاية العالم.

ومن هنا كان لا بد من التصور لهذه الحملات المغرضة بعقد الندوات ونشر المقالات وسواء فى الدول الإسلامية أو فى دول الغرب الأوروبى، بمعنى مخاطبة الآخر، بأن الإسلام لا صلة له بالإرهاب، وبأن الحضارات تتفاعل ولا تتصادم وأن الاختلاف الدينى والثقافى بين المسلمين والعالم الغربى لا يحتم بالضرورة صداماً بين المسلمين وغيرهم، تأسيسا على قول الله ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿لكم دينكم ولى دين﴾ .

وفى إطار نشاط رابطة الجامعات الإسلامية للتأكيد على فكرة حوار الحضارات تقدمت بهذا البحث الذى يستند على عوامل واضحة فى التعامل بين المسلمين وغير المسلمين، وأعنى بها المصالح المشتركة بين الطرفين وإن اختلفت الرؤى السياسية أو العقيدة الدينية أو الفكر الثقافى بين الجانبين.

وفى هذا البحث سوف أتناول المصالح المتبادلة بين الدول الإسلامية والدول الغربية فى الجوانب الآتية:

١ - المصالح الاقتصادية.

٢- المصالح الثقافية.
٣- المصالح السياسية.
وفيما يلى تفصيل لهذه المجالات:

أولا: المصالح الاقتصادية:

تتمثل المصالح الاقتصادية بين الدول الإسلامية والدول الغربية فى مجال البترول والتجارة، حيث يتم التبادل بين الجانبين فى هذين المجالين على النحو الآتى:

١- البترول:

تثبت الدراسات بأن الدول الإسلامية لها ثقلها فى منظمة الأوبك «أى الدول المنتجة والمصدرة للبترول، حيث إن لدى الدول الإسلامية ما يزيد عن ٦٠٪ من احتياطى البترول العالمى، وتنتج أكثر من ٤٠٪ من الإنتاج العالمى للبترول، ومعظم إنتاج الدول الإسلامية من البترول تستهلكه الدول الغربية، كما تشارك شركات البترول الغربية فى استخراجه وتسويقه.

مثال ذلك أن شركة البترول الأمريكية المسماة Standard Oil Company of New York (سكونى Socony) افتتحت لها فرعا فى مصر لبيع البترول وخاصة الكيروسين منذ عام ١٨٩٨م ، وكان هذا الفرع يخدم كذلك الأقطار العربية الأخرى، خاصة أقطار المشرق العربى، وقد امتد نشاط هذا الفرع ليخدم كلا من السودان وقبرص والعراق وإيران وشبه الجزيرة العربية والصومال الفرنسى والصومال الإيطالى والصومال البريطانى، وغيرها من الأقطار العربية والإفريقية والآسيوية[1].

(١) -De Nova, J.A.: American Interests and policies in the Middle East ,(1900- 1939), us.1968, p.,378.

وعندما نشطت شركات البترول البريطانية فى التنقيب عن البترول واستخراجه من إيران مع بداية القرن العشرين دخلت شركات البترول الأمريكية المنافسة، وكان مجال المنافسة العراق حيث كانت شركة البترول التركية- ولبريطانيا فيها ٥٠٪ من الأسهم - تنقف عن البترول فى ولايات البصرة وبغداد والموصل.

وبعد انتهاء معارك الحرب العالمية الأولى حاولت شركات البترول الأمريكية- بتأييد من الحكومة الأمريكية- المشاركة فى البحث عن البترول فى العراق تحت دعوى سياسة الباب المفتوح Open Door Ploicy التى تدعو إلى ضرورة خضوع مواطنى مختلف الدول لنفس المعاملة، وأن يقفوا على قدم المساواة فى البلاد العربية والآسيوية والإفريقية ، وأنه لا ينبغى منح امتياز من شأنه الإضرار بمصالح الدول الأخرى أو أن تحتكر دولة امتيازاً بعينه(١).

وقد انتهى التنافس حول بترول الدول العربية - والعراق مثل لها- بتوقيع اتفاقية بين شركات البترول الغربية على توزيع أسهم شركة بترول العراق عام ١٩٢٩م بحيث نالت شركات بترول كل من بريطانيا وفرنسا وهولندا والولايات المتحدة الأمريكية ٧٥ ,٢٣٪ من الأسهم، والباقى وقدره ٥٪ من الأسهم كانت من نصيب الوسيط الأرمنى «سركيس جولينكيان» الذى شارك فى المفاوضات منذ عام ١٩١٤(٢).

وقد استمر التنافس بين شركات البترول البريطانية- ولحكومتها النفوذ السياسى الأعلى فى الدول الإسلامية الإفريقية والآسيوية- وشركات البترول الأمريكية، ولحكومتها موقف العزلة السياسية حتى الحرب العالمية الثانية- لتجد الشركات البترولية الأمريكية متنفسًا لها فى البحرين عام ١٩٢٩م عن طريق

(١)محمد جواد العبوسى: البترول فى البلاد العربية، معهد الدراسات العربية ، القاهرة ١٩٥٦ ص ٢٣٦.

(٢) - Polk , w. p. : the u. s . and the Arab world , massachusetts, 1965, p . 304.

شـركـتى : بـتـرول الخليج Gulf corporation وشـركة سـتـاندارد أويل أوف كاليفورنيا Standard Oil of California ، حيث تأسست شركة بترول البحرين Bagrein Petroleum Company (بابكو. Ba.p.co)[1]. وتحتل هذه الشركة مكانا فـريداً من حيث كـونها شـركة أمـريكيـة الملكية، وفى نفس الوقت تقـوم بإدارتهـا موظفون بـريطانيون، كـما أنها عـملت فى منطقـة خاضـعة للحـماية البريطانية[2].

ونظراً لأن الحكومة البريطانية أخذت تـعهدات على حكام الأقطار المشمولة بالحماية البريطانية فى الخليج وغيره بألا يمنحـوا امتيازات للتنقيب عن البترول واستغلاله فى أراضيهم لشركة أو دولة دون الرجوع إليها، فقد نشطت شركات البـترول الأمـريكية والفـرنسيـة مع الشركـات البـريطانية والهـولندية وغيـرها للتنقـيب عن البترول واسـتخراجـه سواء فى المملكة العـربية السـعودية وأقطار الخليج العربية وغيرها، فقد نجحت شركات البترول الأمريكية فى الحصول على امتيازات لتنقـيب عن البترول واستخراجه من أراضى المملكة العـربية السعودية حيث حصلت شركة ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا الأمريكية على اتفاقية كل حكومة المملكة العـربية السعودية عـام ١٩٣٣م للتنقيب عن البتـرول فى منطقة الأحساء.

وبدأت عمليات التنقيب عام ١٩٣٤م ، وعثـر على البترول فى البئر «الدمام رقم ٧» الذى أنتج بترولا بكميات تجاريّة فى مارس ١٩٣٨م وأصبح يمثل أكبر بئر بترولى منتج من المنطقة العربية.

وقد انضمت شـركة تكساس Texas إلى الامتياز الممنوح لشـركة ستاندارد أويل أوف كاليـفورنيـا، ومن ثم تغيـر اسم الشركة ليـصبح: الشـركة العـربية،

(١) د. صلاح العقاد : التيارات السياسية فى الخليج العربى، القاهرة ١٩٧٤، ص ٣٢٣.

(٢) - Philly, Arabian Oil Venture, p . 77.

الأمريكية للبترول «أرامكو , Arabian American Oil Company AR.EM,CO.[1].

وشاركت شركات البترول الأمريكية مع شركات البترول البريطانية وغيرها فى التنقيب عن البترول فى الأقطار العربية، مثل الكويت من خلال شركة بترول الكويت «كول K.O.L Kawait Oil company التى تشترك فيها من حيث الملكية والتمويل مناصفة كل من شركة بترول الخليج الأمريكية، وشركة البترول الإنجليزية الإيرانية، حيث وقعت الشركة مع حاكم الكويت عام ١٩٣٤م، وتم اكتشاف أكبر حوض بترولى فى العالم عام ١٩٣٨ فى منطقة «البرقان» التى تبلغ مساحتها ثلاثين ميلا مربعًا، وتقع على بعد ٢٧ ميلا إلى الجنوب من مدينة الكويت[2].

كما شاركت شركات البترول الغربية فى التنقيب فى مشيخات ساحل عمان وهى أبو ظبى ودبى والشارقة ورأس الخيمة، إلى جانب مشيخة قطر التى أصبحت شركة بترول قطر المحدودة عام ١٩٣٧م Petroleum Development of Qatar ، وهى فرع لشركة بترول العراق، وفى سلطنة عمان استحوذت شركة استثمارات نفط عمان المحدودة petroleum Development Oman Limted على امتياز النفط فى السلطنة، وهى مكونة من ائتلاف ثلاث شركات هولندية وبريطانية وفرنسية[3].

وتعتبر مصالح الولايات المتحدة كبيرة فى منطقة الخليج والجزيرة العربية، إذ تملك الشركات الأمريكية ٤٧٪ من استثمارات البترول فى المنطقة، وفى منطقة الشرق الأوسط يوجد أعظم احتياطى معروف للبترول فى العالم، وحقول

(١)- Hamilton , ch.w: Americans and Oil in Middle East, los Angellos, 1962, p . 148.

(٢) - PolK, W. R. : Op. cit. p.238

(٣) د. جمال زكريا قاسم الخليج العربى ١٩٤٥- ١٩٧١، القاهرة ١٩٧٦ ص ٤٤٦.

البترول فى هذه المنطقة أسهل الحقول وأرخصها إنتاجا حتى الآن، وتستورد غرب أوروبا واليابان وأستراليا والولايات المتحدة الأمريكية ودول إفريقيا أغلب بترولها من هذه المنطقة، ويتم تموين سفن الأساطيل الأمريكية فى المحيط الهندى والبحار المتوسط والأحمر والخليج، من بترول المنطقة، ويبلغ دخل الشركات الأمريكية من استثماراتها فى هذا البترول ما بين ٢ , ١و٦ , ١ بليون دولار كل عام[١].

وما ينطبق على الدول العربية وهى جزء كبير من منظومة الدول الإسلامية، ينطبق على بقية الدول الإسلامية فى آسيا وأفريقيا فى تنافس الشركات البترولية الغربية لاستغلال تلك الأقطار الإسلامية. وهذا يمثل مصلحة مشتركة بين الطرفين وإن كانت الشركات الغربية تحقق استفادة أكبر لحصولها على عوائد كثيرة كاستخدام تقنياتها ، ودفع مستحقات الدول الإسلامية بعملات الدول الغربية خاصة الدولار والتى توضع فى مصارف الدول الغربية.

٢- التجارة:

كانت وما زالت إلى حد كبير الدول الإسلامية مجالا لترويج السلع التجارية للدول الغربية، ويمكن ملاحظة ذلك فى نشاط الشركات الغربية فى بعض الدول الإسلامية فى المجال التجارى فيما يلى:

ازدهرت التجارة الأمريكية فى المنطقة العربية منذ تأسيس الغرفة التجارية الأمريكية فى مدينة إستانبول عام ١٩١١م American Chamber of Commerce ، ومنذ أن افتتحت لها فرعًا فى مصر كان مقره مدينة القاهرة ، ومن ثم صارت مصر مركزًا رئيسيًا لعدة شركات أمريكية مثل شركة سنجر Singer لماكينات الخياطة، وشركة فورد Ford، وشركة جنرال موتورز

(١) هانسون و. بالدوين ترجمة محمود خيرى بنونة: إستراتيجية للغد- الإستراتيجية الأمريكية فى السبعينيات والثمانينيات وحتى سنة ٢٠٠٠م - القاهرة ١٩٧٢ ص ١٨٤.

Generl Motors للسيارات، وشركة كوداك Kodak للتصوير، وشركة رمنجتون Remington Typeuriter لماكينات الطباعة. وعدة شركات للتصوير السينمائى، إلى جانب عدة شركات استيراد لبيع المنتجات الأمريكية تتراوح من شنط يد السيدات إلى السلع المتعلقة بالنواحى الطبية والسلع المعلبة.

ونتيجة لأن الأمريكيين قد زادوا من استخدام قناة السويس فى نشاطهم التجارى مع آسيا وأفريقيا فقد بذلوا اهتماما كبيرًا بتجارة الترانزيت مع مصر، وقد زادت هذه النشاطات زيادة كبيرة حتى أنها حققت أرباحا فى عام ١٩٣٨م على سبيل المثال ١٤ مليون دولار(١).

وبالجملة فإن الدول الإسلامية تستورد الكثير من السلع المصنعة فى الدول الغربية سواء كانت سلعًا تكنولوجية، أو أسلحة ومعدات عسكرية، أو سلعًا وسيطة لمصانع الدول الإسلامية، كما أن الدول الغربية تستورد من الدول الإسلامية كثيرًا من السلع والخامات اللازمة للمصانع الغربية، مثل الأقطان اللازمة لصناعة الملابس، والمطاط اللازم لصناعة الإطارات وغيرها كثير..

ونخلص من هذا أن المجال الاقتصادى يمكن أن يكون محورًا للمصالح المتبادلة بين الدول الإسلامية والدول الغربية، والتى يمكن الاستفادة منها فى توضيح أن المصالح المشتركة بين الأطراف تثبت أن التفاعل بين الحضارات هو الأبقى لمسيرة الحياة واستمرارها لمصلحة الجميع.

ثانيًا: التبادل الثقافى:

تتمثل المصالح الثقافية بين الدول الإسلامية والدول الغربية، فى الاحتكاك الحضارى بين الطرفين، والتبادل الثقافى بينهما بما يعمق الفهم المتبادل ويقلل من فكرة الصدام.

(١) - De Nava. J.A: Op. Cit. , p. 378

وكانت الدول الأوروبية أسبق فى الاستفادة من التراث الثقافى الإسلامى العربى منذ ازدهار الحضارة العربية الإسلامية، وجاءت هذه الاستفادة من خلال المراكز الثقافية الإسلامية فى الأندلس بشبه جزيرة إيبيريا، وفى صقلية وجنوب إيطاليا وجزر البحر المتوسط مثل مالطة وكريت وغيرها، وأثناء الغزوات الاستعمارية للبلاد العربية الإسلامية والمعروفة باسم الحملات الصليبية، ثم أثناء الفتح العثمانى الإسلامى لأقطار شرق أوروبا.

وفى المقابل استفادت الأقطار العربية والإسلامية من ازدهار الحضارة الغربية بعد الثورة الصناعية فى أوروبا من خلال الغزوات الاستعمارية الأوروبية بما أتت به من مؤثرات ثقافية هزت العقول فى الأقطار الإسلامية ودفعتها إلى التفكير فى أن هناك ثقافة وحضارة مزدهرة فى أوروبا عليها أن تسعى للأخذ منها بما يتفق مع قيم المجتمعات الإسلامية.

وقد استفاد محمد على حاكم مصر العثمانى من الحضارة الأوروبية فى استقدام العلماء من أوروبا، وترجمة الكتب العلمية الحديثة إلى اللغتين العربية والتركية، وإرسال البعثات الدراسية إلى معاهد العلم فى دول أوروبا، كل ذلك من أجل تحديث أحوال مصر الثقافية والعسكرية والاقتصادية على النسق الأوروبى.

كما كان للبعثات التبشيرية (التنصيرية) الغربية تأثيرها الثقافى فى الدول الإسلامية، فعلى سبيل المثال نشطت تلك البعثات فى أقطار الشام ومصر والخليج والسودان والصومال وأقطار شمال أفريقيا وأقطار جنوب وشرق آسيا، وذلك من خلال ما أسسته من مدارس وكنائس ومستوصفات ونوادى اجتماعية ورياضية ومكتبات ومشاغل لتعليم الفتيات مهن الحياكة والتطريز وأعمال الإبرة وغير ذلك.

ويمكن أن نشير إلى أمثلة لدور هذه البعثات فى بعض الأقطار العربية، منها إنشاء مركز للاتحاد الكنسى الأمريكى بمدينة أسيوط عاصمة صعيد مصر عام

١٨٦٥م ، حيث توجد هناك أعداد من السكان الأقباط لا يرون غضاضة فى الاستفادة من الخدمات التى يقدمها هذا المركز ، وكان أبرز نشاط لهذا المركز إنشاء ما عرف بكلية أسيوط التى تضم مدرسة ابتدائية ومدرسة ثانوية إلى جانب ملجأ لرعاية الأيتام واللقطاء والعجزة من أبناء تلك المنطقة من مصر(١).

ومن أسيوط انتقل نشاط البعثة التبشيرية (التنصيرية) الأمريكية إلى منطقة الدلتا حيث تم إنشاء مراكز تعليمية أمريكية مشابهة لمركز أسيوط بل وأنشئ مركز آخر بمدينة الإسكندرية، ومركز آخر أيضًا بمدينة القاهرة تطور إلى أن أصبح فى عام ١٩٢٠م تحت اسم الجامعة الأمريكية التى وصفت بأنها أكبر مشروعات الإرسالية الأمريكية فى مصر(٢).

ويمكن الإشارة إلى البعثات التبشيرية (التنصيرية) الغربية فى بلاد الشام وهى الإرساليات الفرنسية والبريطانية والأمريكية، ويكفى أن تشير إلى ما عرف بالكلية البروتستانتية السورية التى باشرت نشاطها مع نهاية القرن التاسع عشر. وبعد الحرب العالمية الأولى ازداد نشاط هذه الكلية على يد مديرها الأمريكى دكتور دودج Dodge الذى ساهم فى استقرار الدراسة فى الكلية مع وضع الخطط اللازمة لنمو العملية التربوية مما ساعد على اكتساب ثقة المواطنين العرب مسلمين ومسيحيين، وقد صارت تعرف بالجامعة الأمريكية فى بيروت(٣).

ويعيش العالم الإسلامى حاليًا تحت ضغط الغزو الثقافى الغربى الساعى للتأثير على الهوية الثقافية الإسلامية من خلال القنوات الفضائية الغربية والإنترنت والأفلام السينمائية والمسلسلات التليفزيونية الغربية والكتب

(١) -De Nova , j A. , Op- cit p . 365.

(٢) - Ibid , p . 366.

(٣) - Ibid, p. 39.

والصحف الغربية ومعظمها تبث قيمًا لا تتفق مع القيم السائدة عند المسلمين، ومن ثم فإن العالم الإسلامى : دوله ومؤسساته الإعلامية والثقافية والتعليمية يقع عليه عبء التصدى لهذا الغزو الثقافى ببرامج واضحة لتسليح أبناء المسلمين بالفكر المستنير ومخاطبة الأخير بالحجة والمنطق.

ولنا فى تجربة اليابان وكوريا الجنوبية مثل فى هذا، حيث استفادت الدولتان من الحضارة الغربية فى تطوير نواحى حياة الشعبين اليابانى والكورى الثقافية والتعليمية والاقتصادية والسياسية، مع المحافظة على الهوية الثقافية للشعبين وبدراسة تاريخ التجربة اليابانية على سبيل المثال ندرك هذه الحقيقة، خاصة منذ عهد ميجى أو عصر النهضة ابتداء من عام ١٨٦٨م، ثم البناء المعاصر بعد الحرب العالمية الثانية(١).

كما يجب أن نشير إلى أن المؤرخ البريطانى أرنولد توينبى Arnold Toynbee ذكر فى كتابه «دراسة للتاريخ» - عند الحديث عن الحضارات الإنسانية الباقية والمندرسة ـ أن الحضارة الإسلامية باقية لقيامها على الجوانب الروحية أساسًا، بينما الحضارة الغربية غير مستقرة لأنها حضارة مادية، وضرب مثلا على ذلك بأن الأوروبيين بنوا حضارتهم الحديثة ثم دمروها فى الحرب العالمية الأولى، وعندما أعادوا بناءها بعد معارك الحرب العالمية الأولى دمروها مرة ثانية فى معارك الحرب العالمية الثانية(٢) وقد أيده فى ذلك المفكر والفيلسوف شبنجلر(٣).

وهكذا يمكن لنا الاستفادة من الجوانب الثقافية المتعددة فى التحاور مع الدول الغربية، بالتأكيد على التبادل الثقافى لمصلحة شعوب العالم الإسلامى والعالم الغربى، وأن المجالات الثقافية لها خطرها فى التأثير على فكر الشعوب،

(١) د. رأفت الشيخ، آسيا فى التاريخ الحديث والمعاصر، القاهرة ٢٠٠١م ص ٢٦- ٥٥.

(٢) أرنولد توينبى ترجمة فؤاد شبل: دراسة للتاريخ جـ٢ص ١٦٧- ١٧٠.

(٣) د. رأفت الشيخ تفسير مسار التاريخ، القاهرة ٢٠٠٠م ص ١٨٧- ١٩٠.

ولنا فى مسئولية الجانب الثقافى الفرنسى عن قيام الثورة فى فرنسا عام ١٧٨٩م، حين هاجم المفكرون : فولتير، ومونتسكيو، وجان جاك روسو، ودولباخ، ومورلى وغيرهم النظام القائم فى عهد الملك لويس السادس وأسلافه مما أشعر المواطنين الفرنسيين بالظلم فثاروا عليه وعلى الحكم القائم[1].

ثالثا: المصالح السياسية:

تنطلق المصالح السياسية بين الدول الإسلامية والدول الغربية من خلال عضوية جميع الدول الإسلامية والدول الغربية والشرقية ودول قارتى آسيا وأفريقيا بهيئة الأمم المتحدة- الجمعية العامة- ومنظماتها وهيئاتها المتخصصة، حيث يتم تبادل الآراء والأفكار والمواقف من القضايا والمشكلات السياسية، سواء كان هناك اختلاف فى المواقف والرؤى أو اتفاق بين الطرفين.

وقضايا العالم الإسلامى السياسية محور تبادل الآراء بين دول العالم الإسلامى والدول الغربية والشرقية فى أوروبا وأمريكا، وذلك منذ كفاح الشعوب الإسلامية من أجل الاستقلال لإنهاء الفترة الاستعمارية فى تاريخها. ولأن معظم الدول الإسلامية خضعت لاستعمار بريطانى وفرنسى وإيطالى وبرتغالى وهولندى، فقد توجهت جهود الشعوب الإسلامية بكفاحها ضد قوات احتلال هذه الدول الأوروبية، بينما وقفت الولايات المتحدة الأمريكية دون أن تمد يدها لمساندة حركات التحرير فى الأقطار الخاضعة للاستعمار تمشيًا مع مبدأ العزلة السياسية القائم على عدم التورط فى مشكلات تلك الدول الإسلامية وحتى لا تغضب حلفاءها فى أوروبا[1].

ومع ذلك وقفت الولايات المتحدة الأمريكية مع دول غرب أوروبا وشرقها

(١) د.رأفت الشيخ: تاريخ أوروبا الحديث ، القاهرة ١٩٨٤م، ص ٤٢.

إلى جانب إنشاء دولة إسرائيل منذ وعد بلفور عام ١٩١٧ واتفاق سايكس بيكو عام ١٩١٦م . ثم الانتداب البريطانى الفرنسى على بلاد الشام والعراق بموجب اتفاق سان ريمو عام ١٩٢٠م. وقد تمكنت الحركة الصهيونية من الحصول على تأييد الحزبين الديموقراطى والجمهورى، فى الولايات المتحدة الأمريكية، لأهدافها وذلك أثناء انتخابات عام ١٩٤٤م، وعام ١٩٤٦، ووصل الأمر أن يطلب الرئيس هارى ترومان Truman فى عامى ١٩٤٥، ١٩٤٦م من المستر «أتلى Atlee » رئيس الوزراء البريطانى أن يسمح على وجه السرعة بدخول مائة ألف لاجئ يهودى إلى فلسطين قادمين من أوروبا دون الأخذ فى الاعتبار مصالح العرب(٢).

وما زالت قضية فلسطين وحقوق الشعب الفلسطينى فى إقامة دولته ، وعاصمتها القدس موضع خلاف بين الدول الإسلامية والعالم الغربى بصفة عامة، مع وجود بعض التعاطف الأوروبى للحق الفلسطينى، والذى يمكن التحاور معه ودعمه ، مع محاولة تحييد الموقف الأمريكى دون اليأس من هذا الموقف.

ويشعر المسلمون بالضيق بسبب سياسة الكيل بمكيالين التى تتخذها الولايات المتحدة الأمريكية وبعض الدول الأوروبية من قضايا العالم الإسلامى، فعلى سبيل المثال فقد أيدت القوى الغربية تمزيق إندونيسيا بالضغط على حكومة جاكرتا حتى تم إجراء استفتاء لشعب تيمور الشرقية ليحصل على الاستقلال عن جمهورية إندونيسيا، وقد تم ذلك بالفعل، هذا فى الوقت الذى لم تشجع فيه على إجراء استفتاء لشعب كشيمر لأن أغلبيته مسلمة.

---

(١) - Bemis , S. F. : Diplomatic History of the United States, p . 176.

(٢) - The american Assembly , Columbia Universiyt: The united States and The Middle East, 1964, p . 155.

- ويذكر أن فلسطين كانت تخضع للانتداب البريطانى ومن هنا جاء الطلب الأمريكى لرئيس الوزراء البريطانى.

ويشهد العالم الإسلامى حاليًا ضغطًا سياسيًا هائلا من القوى الغربية تحت زعم محاربة الإرهاب ، بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م فى كل من نيويورك وواشنطن، ورغم أن القوى المعتدلة فى العالم استنكرت تلك الأحداث، إلا أنها تستنكر إصرار الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها الغربيين وخاصة المملكة المتحدة على وصف القوى الوطنية اللبنانية (حزب الله فى مقدمتها)، والقوى الوطنية الفلسطينية (منظمة التحرير الفلسطينية - منظمة فتح -، وجماعة حماس ، وجماعة الجلاء) بأنها جماعات إرهابية.

ومن هنا كان على منظمة المؤتمر الإسلامى الذى تنتظم فيه كل الدول الإسلامية ورابطة العالم الإسلامى ، ورابطة الجامعات الإسلامية، وجميع الدول العربية والإسلامية مسئولية متابعة قضايا العالم الإسلامى ، محاولين التأثير على موقف الدول الغربية السياسى دون كلل ليس «بالتوسل» وإنما باستخدام المصالح المتبادلة بين دول العالم الإسلامى والعالم الغربى.

وخاتمة القول:

إن استخدام المصالح المتبادلة بين الدول الإسلامية والدول الغربية كوسيلة لكسب التأييد لقضايا العالم الإسلامى ، أو على الأقل تحييد القوى العالمية لا تنحاز مع القوى المعادية للإسلام والمسلمين ، انطلاقا من حاجة العالم الغربى للعالم الإسلامى، وعلى نفس القدر حاجة العالم الإسلامى للعالم الغربى، ومن هنا تأتى السياسة التى يجب على الدول الإسلامية اتباعها وتفعيل الآليات المؤثرة.

مصادر البحث

١- د. جمال زكريا قاسم : الخليج العربى ١٩٤٥- ١٩٧١م، القاهرة ١٩٧٦م.

٢- أرنولد توينبى ترجمة فؤاد شبل: دراسة للتاريخ ٤ أجزاء القاهرة.

٣- د. رأفت غنيمى الشيخ: تاريخ أوروبا الحديث القاهرة ١٩٨٤.

٤- د. رأفت غنيمى الشيخ: آسيا فى التاريخ الحديث والمعاصر، القاهرة ٢٠٠١م.

٥- د. رأفت غنيمى الشيخ: تفسير مسار التاريخ القاهرة ٢٠٠٠م.

٦- د. صلاح العقاد: التيارات السياسية فى الخليج العربى، القاهرة ١٩٥٦م.

٧- محمد جواد العبوسى: البترول فى البلاد العربية، معهد الدراسات العربية، القاهرة ١٩٥٦م.

٨- هانسون وبالدوين ترجمة محمود خيرى بنونة: استراتيجية للغد- الإستراتيجية الأمريكية فى السبعينيات والثمانينيات وحتى سنة ٢٠٠٠م، القاهرة ١٩٧٢م.

9- Polk, W. P : The U.S and The Arab World, Massacbusetts 1965.

10- De Nova, J. A. : American Interests and Ploicies in the Middle East (1900- 1939), U. S. 1968.

11- Hamilton, ch . w. : Aemricans and Oil in the Middle East, los Angellos, 1962.

12- Bemis, S F. : Diplomatic History of the United States, Washington, 1968.

13- The American Assembly , Colunbia University: The united States and the Middle East, 1964.

❊❊❊